

عقوبة النار

الدلالة والرمزية من منظور الفكر المصري القديم

د/ أمل مهران*

مقدمة

تعددت أنواع الوسائل التي يظهر بها المذنبون وهم يتعرضون لتدمير لا نهاية له في كتب العالم الآخر، ف"مُلْتَهَم الموتى" يقوم بنفسه بإفناء المذنبين؛ لكن النار والوتد والسيوف التي يحملها وكلاء العذاب جميعها تتبع نفس النهايات عديمة الرحمة، وكذلك الضرب بالعنق وما يتبعها من فصل للأعضاء.^(١) مما يجعل المرء يتساءل عن كم من الوقت كافٍ لتتم عملية تدمير الوجود البشري؟ وهل كانت الغاية من وراء ذلك هي إتمام عملية التدمير والقهر وصولاً إلى حالة "اللاوجود"؟ وهل غابت عملية التطهير- والتي ظهرت في فكرة "المطهر" طبقاً لما ورد في الكتابات المسيحية في فترة العصور الوسطى- عن الأفكار والمعتقدات المصرية القديمة؟

هذا، وقد كان اعتقاد المصريون القدماء في النفس الإنسانية قائماً على اعتقادهم في وجود نفس منفصلة عن الجسد، ولكنها تحل فيه، ولقد قُسمَت هذه النفس إلى أربعة ذوات: إحداها: القرين $k3$ وهي أساس القوى في الإنسان، والثانية: وهي العقل والإرادة $b3$ ، والثالثة: swt وهي من الأثير أو كما أسماها البعض: "النار الأثيرية"،^(٢) أو مادة أرق منه على هيئة الجسم تماماً، والرابعة: $3h$ وهي الجوهر الخالد السامي، الذي يشترك فيه الإنسان مع الآلهة، وهو سر الوجود والعلو. وهذه الشعية من شعب النفس متصلة بعالم الآلهة مادام الإنسان على قيد الحياة، فإذا ما مات الإنسان اتصلت به اتصالاً وثيقاً، فأما الـ $b3$ فتظل تتردد على الإنسان في قبره إلى أن يجتاز الحساب، ويصل إلى مرتبة الثواب، وعندئذ تعود إليه، فيشعر بما يشعر به الأحياء.^(٣)

الجدير بالذكر، أن بقاء الروح $b3$ على قيد الحياة على الأرض- كما يرى البعض- على قدر بقاء الشخص المتوفى حياً في العالم الآخر، خاصة أن الروح $b3$ تتحرر من الجسد لحظة الوفاة على الأرض ثم تعود لتتحد به في العالم السفلي عندما يتضح

* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة دمنهور.

(1) E. Hornung, *Ägyptische Unterweltsbücher* (Zurich, 1982), 42-45.

(٢) ثناء جمعة الرشيدي، النار الأثيرية عنصر مؤثر في عملية الخلق، وكذا:

D. Mueller, 'An Early Egyptian Guide to the Hereafter', *JEA* 58 (1972), 99 ff; L.V. Žabkar, *A Study of the Ba concept in Ancient Egyptian Texts*, *SAOC* 34 (Chicago, 1968).

(٣) أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، تعريب عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري (القاهرة،

١٩٩٧)، ٢٦٢.

صلاح الشخص؛^(٤) ولكن في حالة فناء الروح $h3$ ، فإن المتوفى سوف يعاني حالة "الموت الثاني" الذي إذا ما جاء كان بمثابة النهاية لصاحبه؛ حيث يُباد ولن يعود إلى الوجود مرة أخرى.^(٥) ذلك لأن الـ $k3$ ، والتي هي بمثابة الجسد الروحي للشخص المتوفى ستخرج مشوهة أو مدمرة بعد الموت، وربما تموت في الآخرة، وبذلك يفنى الإنسان تمامًا.^(٦) وتتم إبادة لمرة واحدة كليًا.

هذا، وتعد مظاهر الحياة في هذا العالم بالنسبة للمصريين القدماء بمثابة قاعدة مسبقة للحياة بالنسبة للعالم الآخر، والذي يعتبر في حد ذاته رمزًا مجازيًا للموت. وهو أحد الظواهر الطبيعية، والتي تعبر عن ضرورة الانتقال الذي أعطى للفرد فرصة الدخول أو الاقتراب من الهيئة الجديدة للوجود.^(٧) في صورة متوفى يحيا حياة جديدة في العالم الآخر.

ولقد كان الترتيب الجوهرى للوقت في المعتقدات المصرية بمثابة أسلوب آخر لمظاهر البشرية أو القداسة. فالوقت البشري بالنسبة للإنسان، والذي يعد بمثابة خيرة مسبقة له على الأرض كان بمثابة "الوقت الحالي- Here- Time"، والمقابل لـ "الوقت التالي- There-Time"، والذي يقترب بالفرد من حالة الموت. خاصة أن الوجود الأرضي $h3w$ هو عبارة عن تقسيم للفضاء الزمني للأفراد بين حدي الميلاد والموت.^(٨)

أما الآن، فلنلقي نظرة متفحصة على الجحيم والمطهر كما صورهما المصريون القدماء أنفسهم. حيث تقترب من العديد من الأدلة التي تخص إيقاع القصص بالمذنبين الجائرين، والتي نجدها خلال كتب العالم الآخر؛ حيث نحتار في مجابهة رأيين مختلفين: الأول: خاص بالجحيم، والثاني: خاص بالمطهر، والتي تظهر جلية واضحة في مذاهب معظم الكنائس المسيحية. وإن كان Guy لا يعتقد أن الديانة المصرية قد عرفت فكرة العقاب الأبدي التي وردت في الديانة الكاثوليكية. والأسوأ من ذلك أنها كانت قادرة على الوصول إلى معرفة الفرد المتوفى.^(٩)

(4) Mueller, *JEA* 58, 99 ff; Žabkar, *A Study of the Ba concept in Ancient Egyptian Texts*, SAOC 34.

(5) B. Watterson, *Gods of Ancient Egypt* (London, 1996), 68; S.H. Hoenes, *Life and Death in Ancient Egypt, Scenes from Private Tombs in New Kingdom Thebes* (New York, 2000), 278.

(٦) خزل الماجدي، الدين المصري (القاهرة، ١٩٩٩)، ٢١٨؛ يسر صديق، مراسم تنويع الفراعنة في الدولة الحديثة والعصور المتأخرة من التاريخ المصري القديم (القاهرة، ١٩٩٧)، ٦٩٧.

7) E. Hornung, *Idea into Image: Essays on Ancient Egyptian Thought*, Translated by: Elizabeth Bredeck (New York, 1992), 66, 95; P.A. Bochi, 'Images of Time in Ancient Egyptian Arts', *JARCE* 31 (1994), 55 – 62.

(8) J. Assmann, *Zeit und Ewigkeit im Alten Ägypten: Ein Beitrag zur Geschichte der Ewigkeit* (Berlin, 1975), 11; J. Davies, *Death, Burial, and Rebirth in the Religions of Antiquity* (New York, 1999), 241.

(٩) Davies, *Death, Burial, and Rebirth in the Religions of Antiquity*, 241.

هذا، ولقد ورد العذاب بالنار في "الكوميديا الإلهية لدانتي" بنوعين، الأول: في الجحيم، كعذاب أبدي، والثاني: في المطهر، كعذاب مؤقت لتطهير أصحاب الذنوب المغتفرة، لكي يتمكنوا من دخول الفردوس، كما أن فكرة جهنم المتقدمة بالنار المستعرة - والتي انتشرت بعد ذلك، وشاعت في العديد من المناظر والنصوص - بمثابة النوع الثالث: الذي يمثل الفناء الكامل للموتى.^(١٠)

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه هنا: هل حظيت جهنم المصرية القديمة بالأنواع الثلاثة للعذاب الجهنمي: الأبدي، والمؤقت، والإفنائي؟ أم لا؟^(١١) الجدير بالذكر، أن أنواع العقوبات التي يلاقها المدان في العالم الآخر تعددت وتنوعت من ذبح، وتقييد، وحرق، وفصل لمكوناته الشخصية. وكما تعددت وتنوعت أنواع العقوبات في العالم الآخر فقد تعددت وتنوعت كذلك مدة العقوبة بها، وقد يطرح البعض السؤال التالي: هل تتعدد وتنوع مدة عقوبات العالم الآخر من فرد لآخر؟ ومن مدة لأخرى؟ والإجابة كانت لدى كثير من علماء المصريات أمثال: Hornung، Zandee، Budge، Kees، وErmann... وغيرهم أن عقوبات العالم الآخر مهما تنوعت وتعددت أنواعها فهي عقوبات إفنائية الهدف منها إحالة المدان إلى حالة الموت الثاني؛ حيث العدم والفناء واللا حياة واللاوجود، ولكن بعد دراستنا للعديد من النصوص المصرية القديمة رغم تنوع المراحل الزمنية لإنتاجها، تأكد لنا أن عقوبات العالم الآخر ليست إفنائية في مجملها، وإنما تتراوح بين أبدية: أي مستمرة بلا نهاية، وموقته: أي تدوم لبعض الوقت، وإفنائية: أي ذهاب بلا عودة. وفيما يلي دراسة لكل نوع من هذه الأنواع على حدا:

أولاً : العقاب الأبدي

ارتبطت النار في الفكر المصري القديم بتصورات متباينة فكانت ترمز للتطهير والحماية، كما ترمز أيضاً للفناء والعدم، فهي قوة ملتهمه لكل ما تجده في طريقها، لذا فقد استخدمت كوسيلة من وسائل العقاب والعذاب ليس على الأرض فحسب؛ بل في العالم الآخر كذلك. فمن خلال دراستنا للعديد من النصوص نجد أنها تمثل قوة لها فاعليتها في التدمير والقضاء على مرتكبي الآثام في العالم الآخر، فهي تمثل العقاب الذي يستحقه مرتكبي المعاصي؛ حيث تنتظرهم بحيرات وأنهار من النار،^(١٢) وإلهات وحيات ومردة تلفظ اللهب تحرق به المجرمين، وأحياناً ما كان

(١٠) يسري صديق، مراسم تنويع الفراعنة في الدولة الحديثة والعصور المتأخرة من التاريخ المصري القديم، ٦٩٧.

(١١) الجدير بالذكر أن أهل الكتاب قد استعملوا لفظة 'جهنم' كجواز ورمز للعذاب المستقبلي. إما كمقر مؤقت لدى اليهود (كموضع تطهير لا يتعدى السنة زمناً)، وإما كموضع وحالة من العذاب الخالد الأبدي لدى النصارى (جهنم باليونانية - *vanvveey*).

(١٢) للمزيد عن بحيرات وأنهار وبرك النار في العالم الآخر، راجع: رضا علي السيد عطا الله، بحيرات النار وجزر اللهب في مصر القديمة (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ٢٠١١م). ص ٣-٥٨، ٦١-١٠٠، ١٠٣-١٣١.

يظهر المجرمون في مناظر العالم الآخر برعوس بديلة تمثل شعلات النار^(١٣) كدليل على استمرارية العقوبة بلا توقف. (شكل ١)

وفي ذلك تؤكد بعض النصوص على أن العقاب في أحد أخطر أماكن العقاب في العالم الآخر دائماً ما يكون أبدياً؛ حيث يقول أحد النصوص:



sš n.k Dhwtj m3'c nt R' nb hft(y).k rdi.w n sdt sbiw hr

"يكتب لك جحوتي وماعت أن يوضع عدوك (يقصد عدو "رع" أي: "الثعبان عيب") في النار كل يوم، ليت عدوك يسقط".^(١٤)

ولعل فكرة سقوط عدو رع يومياً في النار إنما تشير إلى استمرارية العذاب للمدان يومياً مع كل شروق للشمس في صباح كل يوم جديد. وقد يكون استمرار العذاب يومياً ناتجاً عما لاحظته المصري القديم من أن الثعبان يغير جلده من وقت لآخر، وأن شكله يتحسن نتيجة لذلك،^(١٥) وبالتالي يتجدد نشاط "عيب" في مواجهة "رع" مع بزوع شمس كل يوم جديد، فكان لابد له من عقاب مستمر يواكب هذا التجدد،^(١٦) فجاءت عقوبته دورية ودائمة وأبدية كل يوم.

ونذكر مثال آخر على ذلك النوع من العقاب، ففي داخل "الحفرات النارية" المصورة في القسم الحادي عشر من كتاب "الإيمي دوات" كانت الأجساد، والأرواح، والظلال، والرعوس الخاصة بأعداء "رع" تُحرق وتُدمر وتُفنى يومياً $(\odot) r' nb$.^(١٧)

طبقاً لما ورد في النصوص المصاحبة لتلك الحفرات.^(١٨) (شكل ٢) مع وجود تلك الإلهات، التي تشرف كل واحدة منهن على إحدى "الحفرات النارية"، وهي تحمل سكيناً وتنفث النار داخل حفرتها بشكل مستمر، قد يعطينا انطباع على بقاء اللهب داخل حفرتها متجدداً ومشتعلاً، وبقاء دورها في العقاب

^(١٣) منال محمود محمد محمود، الجريمة والعقاب في مصر القديمة (القاهرة، ٢٠٠٣)، ١٨٨، وما تلاها.

^(١٤) E.A.W. Budge, *The Book of the Dead* (London, 1901), 2, 6.

^(١٥) واليس بذج، آلهة المصريين، ٣١١.

^(١٦) محمد عبد القادر محمد، الديانة في مصر الفرعونية (القاهرة، ١٩٦٢)، ٨٦.

^(١٧) E. Budge, *Osiris*, II (New York, 1973), 81, 157; cf. C. ross, *The Osiris complex case Studies in Multiple Personality Disorder*, Toronto, November 2000.

الجدير بالذكر أن العبارة $(\odot) r' nb$ من العبارات التي غالباً ما ترد في الصورة المختصرة لكتابتها. وعن الاختصارات في الكتابة المصرية القديمة. راجع: وحيد محمد شعيب، 'الاختصارات في الكتابة المصرية القديمة'، أبجديات ٢ (٢٠٠٧)، ١٤-٥٧.

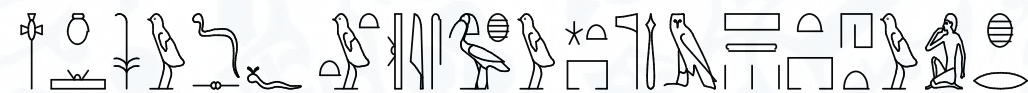
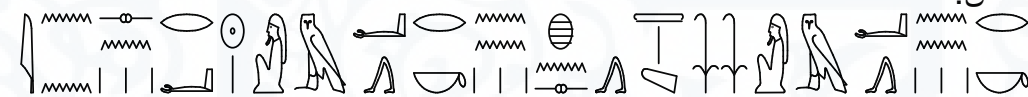
^(١٨) Budge, *Osiris*, II, 81, 157.

مستمراً^(١٩)، هذا، وقد تصور المصريون أن عقوبة هذا الجحيم "نار خالدة لا تنطفئ". الجدير بالذكر، أن بعض المناظر المصورة الخاصة بعقاب المذنبين، يظهر فيها الخطاه المدانين لهم شعلات محرقة في مكان رؤسهم، كدلالة على العذاب الجسدي المستمر^(٢٠) كما سبق وذكر.

الجدير بالذكر، أننا قد سبق ورأينا كيف كانت تُحرق أعضاء ورءوس وظلال وأرواح وقلوب الموتى المدانين بالنار داخل بحيرات وحفرات ومراجل النار. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما الغرض من حرق هؤلاء المدانين؟ وهل كان المقصود من هذا الحرق هو إفناءهم وحرمانهم من الحياة الأخرى؟ أم أن تقطيع أعضائهم وفصل أوصالهم وانتزاع قلوبهم وحرق أعضائهم وأرواحهم وظلالهم في النار كان بمثابة عقاب لهم دون أن يموتوا؟ بما يفيد بأن الحرق بالنار يتم لكل عضو من أعضائهم بغرض تعذيبهم تعذيباً شديداً وبشكل مستمر؟

ولعل الأمر الهام هنا هو أن النصوص المصرية القديمة التي تضمنت عقاب المدان الأبدى لم تكن في مجملها حاملةً لعبارة: "كل يوم - *nb - r*"، وإنما قد تشتمل - وبشكل واضح وصريح مما لا يدع مجالاً للشك - على بعض العبارات التي تفيد معنى: "الأبدية" مثل: "إلى أبد الأبدين"، وليس كما يدعي البعض أن العقاب كل يوم يفيد بوجود فئة جديدة من المعاقبين مع بزوغ كل شمس يوم جديد وفي ذلك يقول المثال التالي والذي يوجه فيه إله الشمس "رع" حديثه إلى حيات الكوبرا بما يناسب الموقف، فتقدم له الابتهالات. وبينما هي تطلب منه الحضور إليهم؛ يغادر "رع" هذه المنطقة؛ حيث يرافق مغادرته صراخ وعويل سكان تلك المنطقة إلى الأبد،^(٢١) فيقول النص:

النص:



*in n.sn R^c m^c r.k n.n hns T3- tnn m^c n.n r.k nd sw ds.f twt is 3hw
dw3t ntr-^c3 m š^ct hwt hr.sn m ht ^cpr R^c hr.sn m m3^c-hrw dt nhh*

⁽¹⁹⁾ Budge, *Osiris*, I, 204.

(٢٠) إريك هورنوج، وادي الملوك، ٢٠٨.

;cf. N. Reeves, R. H. Wilkinson, *The Complete Valley of the Kings Tombs and Treasures of Egypt's Greatest Pharaohs*.

(٢١) واليس بدج، آلهة المصريين، ٢١٦.

"وهم يقولون لرع: فلتأتي إلينا، ولترتحل/ ولتخطو (فوق) تاتنن، فلتأتي إلينا يا من يحيي نفسه، (يا من) يضيء العالم السفلي *dw3t*، (يا أيها) الإله العظيم الذي في المكان السري/ المنطقة الغامضة. (حيث) يظل صراخهم- (عندما) يمر رع من خلالهم كصادق الصوت- إلى أبد الآبدين".^(٢٢)

ولقد كان فهم المصريين لعملية تدمير الروح قاصراً على التهامها أو ابتلاعها بواسطة وحش يدعى: "ملتهم الأرواح"، وهو ما يظهر جلياً في كتب العالم الآخر بشكل عام، وكتابي "ما هو موجود في العالم الآخر"، وكتاب "البوابات" بشكل خاص، ولم يكن هلاك الروح مدعاة لإحالة الشخص لحالة "الموت الثاني" أو العدم، وإنما قد يمثل تدميراً لها بحيث يعاني الجسد عذاباً أبدياً لا انقطاع فيه ولا نهاية له؛ حيث يُوصف فيهما الأسلوب المتبع في معاقبة المذنبون بالقول: "سوف تقطع أجسادكم القابلة للفساد إلى قطع، وأرواحكم لن يبقى لها وجود أبداً، ولن تروا "رع" بعد الآن إلى الأبد مع صفة ارتحاله في البلاد الخفية".^(٢٣)

الجدير بالذكر، أن نار الجحيم المسيحية - والمأخوذة من الأفكار المصرية القديمة - هي نار الجحيم التي لا تنطفئ، وهي بذلك تعد بقايا التمثيل والوصف المصري القديم الذي صنعتة المعتقدات المصرية.^(٢٤)

كما نتحدث نصوص أخرى عن رغبة المتوفى الصالح في تلقي الحماية من قبل الآلهة كل يوم، مما يدل على تجدد نعيم الصالح، مثلما يتجدد عذاب الطالح؛ حيث يقول أحد تلك النصوص: "يا أيها الحكيم، احميني كل يوم *nb r* من هؤلاء الذين اسمائهم غير معروفة، يا ملك الحياة، التنفس كل يوم *nb r* لذلك الذي يعترضهم".^(٢٥)

ولعل تجدد أوجه نعيم المتوفى الصالح إن دل على شيء، فإنما يدل على تجدد أوجه عذاب المتوفى الطالح بالمثل، وهو ما يؤكد على وجود العقاب الأبدي كأحد مظاهر العقوبات في العالم الآخر.

وعلى الرغم من ظهور العديد من المناظر التي تشير إلى أن غاية العذاب هو إفناء الجسد وليس التتكيل به، إلا أنه غالباً ما يتكون انطباع أن لا نهاية لمسار التقطيع والتدمير، كما لو كان الشر مستعصياً على التحطيم؛ بحيث اندمجت بعض أشكال التعذيب المصرية في التصورات الأولى للجحيم المسيحي؛ حيث ستتخذ مظهر

⁽²²⁾ Pfb I S. 106; II S. 106; cf. II S. 220.

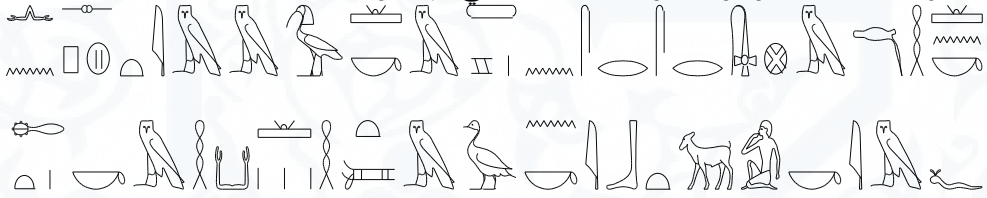
⁽²³⁾ Budge, *The Book of the Dead*, 6. ;cf. M. Lichtheim, *Ancient Egyptian Literature, Volume II: The New Kingdom*, California, March 2006.

⁽²⁴⁾ G. Massey, *Ancient Egypt*, vol. I (New York, 2007), 240.

⁽²⁵⁾ CT VII 492 e (Spell 1145); Lesko, *Book of the Two Ways*, 36.

الخلود.^(٢٦) وهو ما أشار إليه الإله "حور" حينما وجه حديثه للمذنبين الذين سقطوا في العذاب قائلاً: "....، ولن تروا مطلقاً الحياة على الأرض".

ولعل عدم تواجد الشخص مع مكوناته في العالم الآخر بشكل دائم ومطلق يفيد بدوام العقاب واستمرار العذاب بشكل أبدي، فلو كان عقاب الروح وتعذيبها يفيد عدم المطلق والفناء التام، لما تحدثت النصوص عن بقاء الشخص مع روحه المعرضة للعذاب، وهو ما يؤكد النص التالي؛ إذ يقول:



n- sp im- m 3h.k m iw – nsrsr mh.n.k h3t.k m hk3w htm.n.k ibt.k im.f

"لن توجد هناك مطلقاً مع روحك الشريرة 3h (التي) في جزيرة اللهب، (بعدما) ملئت بطنك/ جسدك بالقوى السحرية hk3w، (وبعدما) حطمت عطشك فيها".^(٢٧)

بما يفيد بأن كل تلك الصحبة البائسة - المكونة من الشخص وروحه - ستظل في الظلام والأسر طوال الوقت وبشكل دائم.^(٢٨) فعلى سبيل المثال نجد أن الثعبان "عبب" دائماً ما يعود للظهور مرة أخرى بعد تمزيقه وتدميره، وهكذا يتجدد عقاب الموتى كلما اجتاز الإله "رع" العالم الآخر ليلة بعد ليلة.^(٢٩) إذ نرى أن الثعبان "عبب" في الساعة السابعة من كتاب "الأمي - دوات" مدحوراً بعد أن طعنته أربع إلهات بالمدي والرماح والسكاكين (أشكال ٣، ٤، ٥، ٦، ٧)؛ حيث يصفهن النص المصاحب بقوله: "لهن تلك الصورة وهن يحملن نصالهن ويعاقبن "عبب" في العالم

السفلي كل يوم r nb".^(٣٠)

^(٢٦) جورج بنوا، تاريخ جهنم، الجزء الثاني، جهنم المصرية (بيروت، ١٩٩٦)، ٢٢-٢٣؛

C. J. Bleeker, "The Pattern of the Ancient Egyptian Culture", *BRILL*, Vol. 11, Fasc. 1, Jan., 1964, pp. 75-82.

(27) CTI 148 c – 149 c (Spell 37).

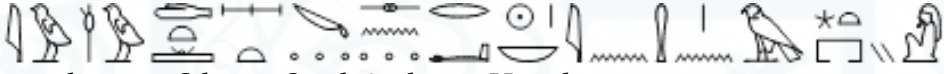
^(٢٨) إريك هورنونج، وادي الملوك، ٢١٠.

^(٢٩) إريك هورنونج، وادي الملوك، ٢١٤.

^(٣٠) أ. ج. سبنسر، الموتى وعالمهم في مصر القديمة (القاهرة، ١٩٨٧)، ١٧٨؛

J. Assmann, *Death and Salvation in Ancient Egypt*, Edition. 1, Cornell, October 2005, pp.

كما نقرأ على لسان "حور" عندما ينطق الحكم على الموتى المدانين في أحد أخطر مناطق العقاب في العالم الآخر عبارة تقول: "لقد انقلبتم، ولا قيام لكم، فقد تعثرتم في حركم؛ حيث لا تهربون منها ولا تتحررون".^(٣١) (شكل ٨) وفي الساعة الحادية عشر من كتاب "الأمي - دوات" نجد ما يشير إلى أن أجساد، وأرواح، وظلال، ورعوس أعداء إله الشمس تحرق وتدمر يوميًا في "الحفرات النارية". حيث يقول النص:



iw wd.t<w> dt.sn r'- nb in hm n Hr- dw3ty

لقد أُمِر (ب)ذبهم يوميًا بواسطة جلالة (الإله) حور المنتمي للعالم السفلي *d3ty*^(٣٢).

كما نقرأ في نصوص أخرى من كتاب "الكهوف" عبارة تقول: "عين حور لا تقترب من المدانين؛ وهي في حد ذاتها رسالة تحمل معنًا خاصًا جدًّا، فعين "حور" تمثل كل قيمة إيجابية يعرفها المصري في الأبدية، كما أنها تمثل القربان الذي يُقدم للآلهة والموتى على حدٍّ سواء؛ ولكنها في المقابل العين الجريئة التي ترمز للرغبة في التجدد والبعث (شكل ٩ أ، ب)، وإذا ما حُرِم منها الفاسد فإنه يُجرد بذلك من كل شيء يجعل الحياة تستحق أن تعاش، وفي حالة هذا الرفض المدمر، يجعل إله الخليقة من العالم الآخر جحيماً أبدياً.^(٣٣)

كما وقد تشير كلمة يوميًا التي وردت في العديد من النصوص المصرية القديمة إلى أحد معنيين: الأول: إلى أن حرق تلك الأجساد، والأرواح، والظلال، والرعوس الخاصة بالأعداء تتم يوميًا. أما المعنى الثاني: فقد يشير من منظور آخر إلى أن عملية الحرق أو التدمير تتم بشكل مستمر، لكنها هذه المرة تتم مع أعداء جدد، فالتدمير يحدث بصفة يومية، أما المذنبين الوافدين على مناطق العقاب في العالم الآخر فجدد، وفي كل الحالتين فالعقوبة أبدية ومستمرة.

ولعل تكرار ظهور مناظر المدانين وقد قُطعت أعضاؤهم، وقُصِلت رعوسهم، وحُرقت جثثهم، ومُزقت ظلالهم، وحُبست أرواحهم، وتحللت أجسامهم، وتفرقت أرواحهم، إنما يشير ذلك كله إلى نوع المصير الذي سوف يلاقونه في العالم الآخر وهو الإقامة الكاملة في أماكن العقاب؛ حيث نعرف جيدًا من خلال بعض المناظر التي تصور المدانين وهم يجلسون في وضع الركوع أو الوقوف على الرغم من قطع رعوسهم، وتقيد أيديهم، مما يشير إلى عدم إحالتهم لحالة "الموت الثاني"؛ ولكنهم فقط حُرِموا من الرأس بما فيها من حواس السمع والأبصار والشم والتنفس

^(٣١) إريك هورنونج، وادي الملوك، ٢٠٩.

^(٣٢) ترجمها البعض بـ 'حور ذاتي'.

^(٣٣) إريك هورنونج، وادي الملوك، ٤١٢.

والكلام. وذلك كنوع من أنواع التعذيب الشديد، ولو أن الأمر كان كذلك في العالم الآخر في عقيدة المصري القديم - كما يبدو في اعتقادي - لكانت حياة العالم الآخر خالدة للجميع، فالصالحين يحيون حياة دائمة في جنات النعيم؛ بينما يحيا الطالحون حياة خالدة في العذاب المهين،^(٣٥) وبالتالي ندرك أن بعقوبات العالم الآخر عقوبات أبدية مستمرة لا نهاية لها.

ثانيًا: العقاب الإفنائي

من خلال قراءتنا للعديد من نصوص العالم الآخر ودراستنا للعديد من مناظره وصوره الشارحة لنفسها وجدنا نوعًا آخر من عقوبات العالم الآخر وهو العقاب الإفنائي والذي يمثل دربًا من دروب الإحالة لحالة "الموت الثاني"؛ حيث اللاوجود واللاحياة، ولعل إصدار حكم بمثل هذه العقوبة في الحياة الدنيا لا يعني إفناءً بدنيًا لوجود هذا الشخص في العالم الدنيوي فحسب؛ وإنما إبادة نهائية لهذا الوجود في العالم الآخر؛ حيث تتم إبادة الجثمان حرًا؛ بل ويُبْعَثُ رماده، وبذلك يُحْرَمُ الجاني من حقه في دفن الجثمان، وبالتالي من بعثه في العالم الآخر، كما يُحْرَمُ من استمرار حياته في الحياة الأخرى. فإذا كان ذلك هو حال المُعاقَب بالنار في الحياة الدنيا، فما بالنا بحال المُعاقَب بالنار في الحياة الأخرى؟ حيث يتعرض المدان للحرق في النار أو نفت الثعابين النارية، أو الغرق في مياهه الأزلية، أو ملتهمًا بواسطة أحد المخلوقات الغريبة في العالم الآخر (مثل "عمموت") أو أحد مرده وزبانية العالم الآخر؟.

لعل في أكثر الأحيان، يخضع الهالكون لعذابات تهدف إلى تحطيم الشخص وتحويله إلى عدم؛ حيث تغلي أجزاؤهم في خلاقين، وتحرقهم أفاع تنفث أسنة اللهب، ويُلقون في بحيرات من نار، بينما يفترس بعضهم "ملتهم الموتى" $mwt - m$ ، كما تُهاجم عناصر الفرد بضراوة: جسده، وظله، ونفسه، كل هذه الأهوال تجري في نطاق الإبادة تحت العالم الأرضي، فليست العذابات إذن خالدة؛ إذ ليست غايتها التكتيل بالفرد، ولكن إفناء الذين غدوا قوى الفوضى في الكون، والذين أساءوا بتصرفاتهم إلى النظام الاجتماعي والكوني $m3\tau$.^(٣٦) وإن كان البعض يرى أن قوى الفوضى هذه قد تغيرت أساليب عقابها من وقتٍ لآخر؛ إذ لم يكن يُشاهد في مناطق العذاب سوى من حلت عليهم اللعنة، والذين حُكِمَ عليهم بالبقاء في الظلام الأبدي دون هواء، وقد عُذِّبوا عذابًا شديدًا وغلفهم العفن؛ ولكنهم الآن يُشاهدون وهم يلاقون تدميرًا كليًا.^(٣٧)

^(٣٥) باسم محمد سيد، النار في الحضارة المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة،

(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٩٩)، ٢٣٨.

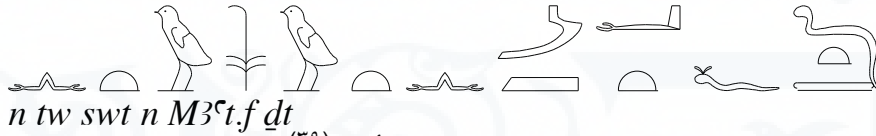
^(٣٦) جورج بنوا، تاريخ جهنم، الجزء الثاني، جهنم المصرية، ٢٢ - ٢٣.

^(٣٧) ديمتري ميكس، كريستين فافارمكس، الحياة اليومية، ٢٨٩.

ونظراً لأن الإنسان في العالم الآخر يستمر بقدرات محققة للروح والقرين "b3 - k3"، وأيضاً الظل "swt"، والجسد "h3t"، وهي الأجزاء الأساسية المكونة للشخصية الإنسانية؛ حيث تساعد الـ "hk3" أي القوى السحرية على وجود المتوفى، كما أن قلبه "ib - h3t" يتمنى ألا يخيبه. فإذا ما تعرضت هذه الأجزاء الأساسية المكونة للشخصية الإنسانية للأذى أو الضرر، فإن المتوفى لن يتمكن من الاستمرار في الوجود؛ حيث إن التعرض للمحرك الأساسي لقوى هذه الروح هي أحد أخطار مملكة الموتى.^(٣٨)

فبعد وفاة الشخص، يُدفن الجسد في الأرض؛ بينما تصعد الروح لتتسلم جزاءها نظير ما اقترفته في الحياة الدنيا. فكل الأرواح التي يسمح لها بالمرور في مملكة "أوزير" هي الأرواح الصالحة؛ بينما تدمر الأرواح الشريرة حيث تذهب إلى اللاوجود. فأغلب النصوص ترينا كيف أن الأرواح تُقسم بين أرواح تم تبرئتها في محكمة "أوزير"؛ ولكنها لم تنسى أيضاً وجود أعداء لـ "رع" - إله الشمس - وأن هذه الأرواح قد أفسدت في الأرض، فلا يمكن لمحكمة "أوزير" أن تبرأ هذه الأرواح الضعيفة حتى تعيش في العالم الآخر لتصبح أعداءً للصالحين والمبرأين.

الجدير بالذكر، أن بعض النصوص المصرية القديمة قد أشارت - مع بعض التحفظ - لهذا النوع من العقاب الإفنائي؛ حيث يذكر أحد نصوص التوابيت عبارة تقول:



"لا (وجود) لمن ليس له عدل/ صدق "ماعت" إلى الأبد".^(٣٩) مما يفيد إجابة ذلك الشخص المدان إلى العدم المطلق حيث حالة "الموت الثاني"، ولعل خوف المصريين القدماء من فكرة (الموت الثاني) الذي يحصل في حالة تدمير وتشويه الجسد الميت، لأن الـ "k3" التي هي بمثابة الجسد الروحي ستخرج مشوهة أو مدمرة بعد الموت، وربما تموت في الآخرة، وبذلك يفنى الإنسان تماماً.^(٤٠)

ففي أحد مناطق العذاب الجهنمي في العالم الآخر - حيث تمزق الأوصال، وتدمر الأرواح - كان الهلاك والفناء مصيراً محتوماً لأعداء "رع".^(٤١) حيث تعطيني تلك المناطق الجهنمية ملخصاً كاملاً وواضحاً عن نوعية العقاب الذي توجهه آلهة

(38) Zandee, *Death as an Enemy*, 173.

(39) CT VII 283 c (Spell 1035); Lesko, *Book of the Two Ways*, 20 f.

(٤٠) خزل الماجدي، الدين المصري، ٢١٨.

(٤١) سبنسر، الموتى وعالمهم، ١٧٨.

ومخلوقات العالم الآخر ضد أعداء إله الشمس وأعداء الآلهة. كما نشاهد تفصيلاً شديداً لكل نوع من أنواع العقاب، ومصير كل عضو من أعضاء جسد المتوفى المذنب، بالإضافة إلى بعض من العناصر المكونة لشخصية الإنسان مثل الروح والظل.^(٤٢)

الجدير بالذكر، أن عدم التواجد الذي يُحكم به على المذنبين لا يعد درباً من العقاب وإنما عدماً مطلقاً؛ وإنما هو بمثابة حرمان من الحياة المباركة في مملكة الموتى، وذلك عن طريق الغياب التام لإله الشمس دون أن تتوافر أي ظروف أخرى ملطفة.^(٤٣) وهو ما جعل المصري القديم يوصف المباركين والخطاه في بعض النصوص بالقول: "هؤلاء الذين يكونون، والذين لا يكونون".^(٤٤)

أي هؤلاء الأحياء وذالك الأموات، خاصة وأن استخدام المصري القديم لبعض الكلمات المتقابلة مثل: كلمة "mtw" بمعنى: "الموتى" في مقابل كلمة "nh" بمعنى: "أحياء" في كثير من الأحيان إنما يؤكد على وجود عقاب إفتائي طبقاً للمعتقدات المصرية القديمة.

خاصةً وأن إبعاد العناصر المساعدة على البعث، والعمل على عدم اتحاد الروح بالجسد التي تؤدي إلى تجديد شبابه هي أقصر الطرق لعدم بعث المذنب مرة أخرى، وهي الغرض الأساسي من العقاب بشكل عام؛ إذ لم يكن الغرض من ذلك هو معاقبتهم فحسب؛ بل القضاء عليهم بشكل تام حتى لا يشرقوا من جديد مع إله الشمس.^(٤٥)

والدليل على ذلك أن عقاب المدانين وأعداء إله الشمس عن طريق الحرق لم يكن قاصراً على أجسادهم فحسب؛ بل اشتمل على أجزاء أخرى من العناصر المكونة لشخصياتهم مثل: الروح والظل، بل تعداه ليمتد أيضاً ليشمل بعض أجزاء جسم الإنسان منفردة مثل: القلب والرأس، ولعل الغرض من وراء هذا هو العمل على عدم اتحاد تلك العناصر مع بعضها البعض لتجنب بعث المتوفى المذنب أو عدو الشمس مرة أخرى، وبالتالي تجنب ملاحقته لإله الشمس في رحلته الليلية وكذلك عدم اتباعه في مرحلة الشروق من جديد.^(٤٦) (شكل ١٠)

الحقيقة الواقعة، أن قدرة الإله على الظهور في شرق السماء إنما يبرهن على أنه قد تمكن من إفناء أعدائه.^(٤٧) إذن فالغرض الحقيقي من هذا الرعب الجحيمي ليس التعذيب الأبدي في حد ذاته، أو اعتباره ضرباً من التطهير؛ وإنما الإبعاد المطلق

(٤٢) خالد أنور عبد ربه، إله الشمس، ٢٢٨.

;cf, G. A. Wainwright, "The Origin of Storm-Gods in Egypt", JEA, Vol. 49 (Dec., 1963).

(٤٣) إريك هورنوج، وادي الملوك، ٢١٤.

(٤٤) إريك هورنوج، وادي الملوك، ٢٠١.

(٤٥) خالد أنور عبد ربه، إله الشمس، ٢٤٠ - ٢٤٣.

(٤٦) خالد أنور عبد ربه، إله الشمس، ٢٢٧.

(47)Budge, The Gods of the Egyptian, 264.

لكل ما هو معادٍ لـ "أوزير" والنظام المقدس "m3ꜣt". الجدير بالذكر، أن مركز الإبادة في كتاب "الكهوف" - على سبيل المثال - هو مكان للعقاب الذي "لا مهرب منه"؛ حيث تتعرض شخصيات المدانين فيه للتدمير التام، والتدمير بالعدم التام المطلق النهائي، وهذا هو "الموت الثاني" الذي نتحدث عن أهواله نصوص الأبدية؛ حيث تقول: "لقد قضيت بمحوكم، وحكمت عليكم بالعدم". هذه هي الكلمات الموحشة التي يخاطب بها "رع" أعداءه في مراكز الإبادة بالعالم الآخر.^(٤٨)

إذن، تعذيب المذنبين بكل طريقة يمكن تخيلها تؤدي إلى تدميرهم وإرسالهم إلى اللاوجود.^(٤٩) كما أن اسم أحد مواقع العذاب والمعروف باسم موقع "الإبادة/الفناء" الواقع بأحد أقسام كتاب "الكهوف" إنما يشير اسمه إلى ما يكابده فيه المتوفى المدان من عقوبة الفناء.^(٥٠)

أضف إلى ذلك عدم اقتصار الإلهات القائمات على بعض مناطق العذاب في العالم الآخر - مثل: "بحيرات النار" و"الحفرات النارية" - بدور واحد في العقاب؛ بل تعدتها لتشمل عدة أنواع من العقوبات الأخروية مثل: التقطيع عن طريق السكاكين التي في أيديها، أو الحرق عن طريق نفثها للشعلات النارية من أفواهها؛ بل يتوافر لها بأن تقوم بجميع أنواع التعذيب ضد المدان في أن واحد.^(٥١) (شكل ١١) مما يؤكد على أن العقوبات المتعددة التي يلقيها المدان في العالم الآخر الغرض منها القضاء عليه تمامًا مع عدم إعطائه فرصة للعودة للظهور من جديد مما يفيد بوجود عقوبات إفنائية في العالم الآخر.

كما أن وجود كل جزء من الأجزاء المكونة لشخصية الإنسان داخل حفرة من حفرات النار مستقلة بذاتها، تشرف عليها إحدى الإلهات التي تحمل سكينًا وتنثف اللهب بداخلها قد تركت - ما لا يدع مجالاً للشك - انطباعاً واضحاً بأن تلك الأجساد، والرهوس، والظلال، والأرواح قد أبيدت وأفنيت ودمرت عن بكرة أبيها.^(٥٢) ولعل تشويه الجسد بحرقه بالنار، وتقطيعه إرباً يبدو في وجهة نظر البعض بمثابة "الموت الثاني" الذي قد يعرض صاحب هذا الجسد للفناء التام.^(٥٣)

ولعل عدم اقتصار العقاب على الجسد فقط، وامتداده إلى عناصر أخرى مكونة لشخصية الإنسان مثل الظل والروح، يفيد بأن تقطيع الجسد وحرقه بالنار ليس فقط هو العقاب الذي ينتظر المدان في العالم الآخر؛ لكن محاولة إظهار العقاب بتلك الصورة، ومحاولة الفصل بين الروح أو الظل عن الجسد، والعمل على عدم

^(٤٨) إريك هورنونج، وادي الملوك، ٢١٣ - ٢١٤.

^(٤٩) Djik, J. V., 'Hell', 89 - 91.

^(٥٠) ديمتري ميكس، وكريستين فافار، الحياة اليومية، ٢٧٦؛ وكذلك: إريك هورنونج، وادي الملوك، ٢٠٩.

^(٥١) خالد أنور عبد ربه، إله الشمس، ٢٤٠.

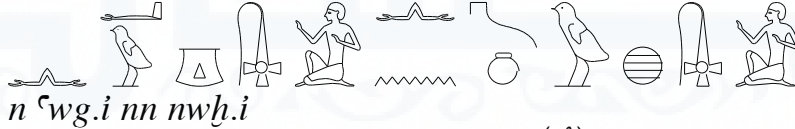
^(٥٢) Budge, Osiris I, 204.

^(٥٣) خزل الماجدي، الدين المصري، ٢١٨.

اتحادهما، إنما يفيد عدم الرغبة في بعث المذنب أو المدان مرة أخرى، ولعل أقصر الطرق إلى ذلك هو إبعاد العناصر المساعدة على البعث، وبالتالي العمل على عدم اتحادها مع الجسد وهما: الروح والظل.^(٥٤)

وبالنسبة لأناس يقدرّون سلامة الجسد بعد الموت تقديرًا عاليًا، يكون حرق الجسد في النار رمزًا للعدم المطلق. وهو أقصى حكم مُتصور على الأرض رغم أنه نادرًا ما ينفذ.^(٥٥) فلم تكن الجحيم المصرية مكانًا للألم والمعاناة الأبدية؛ ولكن مكانًا لإبادة المذنبين الهالكين، وهي الأفكار التي قُبلت بالفخر والشرف في الفكر المسيحي، فقد كانت فكرة العذاب الأبدي تصور مسيحي جلي، وهو ما لم تدركه الأفكار المصرية.^(٥٦)

إذن، لم تكن الجحيم المصرية مكانًا للمعاناة الأبدية- طبقًا لرأي البعض- ولكن مكانًا لإبادة المذنبين الهالكين.^(٥٧) وفي رأي البعض، فإن الديانة المصرية القديمة لم تعرف فكرة العقاب الأبدي، والتي وردت في الديانة الكاثوليكية؛ إذ كان فهم المصريون لعملية تدمير الروح قاصرًا فقط على التهامها بواسطة "ملتهم الموتى".^(٥٨) وإن لم يمنع ذلك من وجود أساليب أخرى لتدمير الروح، وذلك عن طريق حرقها بالنار. وهو ما تؤكدُه النصوص المصرية القديمة؛ إذ يقول أحدها:



"(ليتنى) لا أحرق، أو أدمر بالنار".^(٥٩)

الجدير بالذكر، كذلك أن مسألة الابتلاع عن طريق الملتهمة "عمموت"- وهو نوع آخر من أنواع العقوبات في العالم الآخر- إنما تعني الإفناء التام، والعدم الكامل للمتوفى على العكس من أنواع العذابات والعقوبات الأخرى التي تظل بعدها روح المتوفى تحيا في جنبات العالم الآخر.^(٦٠) خاصة وأن الملتهمة "عمموت" قد ظهرت بجوار أحد المراحل في مشهد يعود للعصر الروماني وهي تلتهم المدان داخل أحد مراحل النار داخل قاعة المحاكمة في إشارة لنوعية الحكم الذي قضت به المحكمة وهو الفناء (شكل ١٢) مما يفيد بأن ابتلاع المتوفى المدان لا عودة له نهائيًا، وهكذا يتضح وجود مدة أخرى للعقاب وهي العقاب الإفناء؛ حيث اللاوجود واللاعودة.

^(٥٤) خزعل الماجدي، الدين المصري، ٢٤٠.

^(٥٥) إريك هورنونج، وادي الملوك، ٢٠٨.

^(٥٦) Massey, *Ancient Egypt*, vol. I, 240.

^(٥٧) Massey, *Ancient Egypt*, vol. I, 240.

^(٥٨) Massey, *Ancient Egypt*, vol. I, 241.

^(٥٩) Budge, *The Book of the Dead*, I, 133, 8 – 9; *The Book of the Dead*, II, 110 f.

^(٦٠) يسري صديق، مراسم تنويع الفراعنة في الدولة الحديثة والعصور المتأخرة من التاريخ المصري القديم، ٦٨٩.

ورغم محاولة البعض إثبات أن المصريين اعتقدوا في وجود التطهير، والعقاب الأبدي للأشرار في نار جهنم، بحيث يستنتجون أن المصريين القدماء قد سبقوا الأمم الحديثة في التوصل للمبادئ المختلفة التي تعتبر أفكاراً شائعة لنتاج العقل البشري الحديث. وإن كانت الحقائق لا تدعم هذه الاعتقادات، فنحن أينما وجهنا نظرنا في مبادئ الحياة المستقبلية- سواء أكان ذلك في النظام الأوزيري، أو الشمسي- لا نجد مكاناً للتطهير. كما أن مناظر المحاكمة التي تتم أمام "أوزير" نجد أن الأبرار فقط هم من يسمح لهم بدخول حقول "الإيارو"؛ بينما الأشرار فيدمرون على الفور. وبكلمات أخرى كان الفناء هو عقاب الخطيئة في مصر القديمة. أي أن أولئك الذين يُوقع عليهم العقاب من كائنات الـ "دوات" كانوا عادةً ما يشار إليهم على أنهم: "أعداء أوزير"، وفي أماكن أخرى "أعداء رع"، ولكننا لم نجد نصاً يشير إلى أن العقاب الذي يكابدونه هناك سيمحو خطاياهم مهما كانت، أو أنه عندما يحين الوقت المناسب سيسمح لهم باستكمال الرحلة في الأقسام الباقية من الـ "دوات"؛ حيث سيكون عقابهم أخف أو ينتقي تمامًا.

ولا يوجد أي سبب لتصور أن الروح بعدما تصل إلى العالم السفلي يمكنها أن تحسن موقفها هناك سواء بمعاناة العقاب أو بعمل الحسنات، كذلك فإن القرايين والعطايا التي تُقدم، والصلوات التي تُؤدى عند المقابر لصالح قرين "k3" المتوفى لم تكن قادرة على تحريك روح المتوفى من قسم إلى آخر في الـ "دوات". أو تعديل وضعها أو حالتها التي كُتبت لها هناك، وكذلك وبالمثل فهي غير قادرة على تحسين وضع أولئك الذين مروا بسلام في محكمة "أوزير" وإرسالهم إلى واحدة أو أخرى من المقار السكنية التي في ملكوته.^(٦١) فلم يقبل القوم بهذا الاعتقاد، فالعقاب بالنار لا بد أن يعني التدمير المطلق، وبالتالي لا يمكن للروح أن تبقى بدون الجثة.^(٦٢)

مما يدل على أن فكرة التدمير بالنار من الأمور الواردة في الفكر المصري القديم، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على أن فكرة العقاب بالنار أحد أساليب العذاب المتبعة والتي تؤدي إلى تدمير وإفناء صاحبها وإرساله إلى اللاوجود. ومن هنا ندرك أن ظهور مناظر للرءوس المفصولة، والأعضاء المبتورة، والظلال والأرواح المحبوسة، والأجساد المحترقة، والجثث المتحللة إنما هي إشارات متعددة على الفناء الذي يحيط بالمداينين من كل جانب.

وكما يرى Guy A. et L. أن الحضارة المصرية القديمة لم تعرف فكرة العقاب الأبدي، يرى كذلك Spence أنه لا يوجد في العقيدة المصرية ما يؤيد الاعتقاد القائل بأبدية العقاب، وكذلك المناظر التي تدعمها المادة النصية، ففي الحقيقة لا يوجد في الديانة المصرية ما يوازي "جهنما- Gahanna" العبرية، أو الجحيم والمطهر للذين ظهروا في أوروبا في العصور الوسطى. حيث أن الأفكار المصرية عن الموت

(٦١) واليس بدج، آلهة المصريين، ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٦٢) Zandee, *Death as an Enemy*, 14 - 15.

لم تشتمل على فكرة بعث ثانية للجسد المادي في العالم السفلي، ولكن من المؤكد أن الجسد المادي لابد وأنه يدمر أيضًا.^(٦٣)

ثالثًا: العقاب المؤقت

رغم ظهور العديد من مناظر العقاب الخاصة بالمدانين، ممن خالفوا العدالة على الأرض وقلبوا موازين الأمور رأسًا على عقب؛ إلا أننا لم نجد في النصوص المصرية القديمة أي دليل - مهما بلغ صغره - يجعلنا نعتقد أنهم كانوا في الأصل من الملعونين، أو أن قدرهم قد كتب عليهم عقابًا أبديًا. فإذا أضفنا لهذا أن النار كانت تخبو بمجرد مرور الإله "رع" في منطقة ما، فإننا نستطيع أن نصل إلى فرضية تقول أنه لم يكن يُدمر عن طريق اللهب- الذي يخرج من أفواه الكائنات المقدسة التي خلقها لذلك أو نار البحيرات والحفرات النارية - إلا تلك الكائنات التي تحاول إعاقة تقدم مسيرته في العالم السفلي كل ليلة وكل صباح قبل أن يظهر في السماء الشرقية.^(٦٤)

ولذلك فقد جُهِز عالم الموتى بالعديد من أماكن ومناطق العقاب والعذاب، وكذلك مناطق للفناء والإبادة حيث الخواء الأزلي. وهو ما تم تصويره في الديانة القبطية المبكرة، ولكن بصورة تبدو مصغرة بشكل كبير عما تم تصويره في الجحيم *imnty* المصري القديم.^(٦٥) ولعل هذا التشابه بين مكونات العالم الآخر في الديانتين السماوية والوضعية فلا عجب إذ لم نجد هناك اختلافًا كبيرًا بين عقوبات كلا الديانتين من حيث الاعتقاد في وجود "المطهر".

وبينما كان هناك جحيمًا حقيقيًا يُعذب فيه الأثمين في العالم الآخر بشكل دائم ومستمر، أو بشكل إفنائي؛ كان هناك أيضًا جحيمًا مؤقتًا للأرواح الشريرة، أي أرواح الهالكين الذين لفظهم قضاء المحكمة الإلهية، فيحومون فيما يُعرف باسم: "المطهر" حتى تتخلص نفوسهم من تلك الذنوب.^(٦٦)

ورغم أن أغلب علماء المصريات - كما سبق وأشرت - أجمعوا على أن أغلب عقوبات العالم الآخر إنما هي عقوبات نهائية الغرض منها إحالة المتوفى المدان إلى حالة "الموت الثاني"؛ حيث اللا عودة واللاوجود واللا بعث، إلا أن "ج. سبنسر" يتعرض في إشارة غير مباشرة إلى وجود نوع مؤقت من عقوبات العالم الآخر حيث يقول:

"تؤكد النصوص مرارًا وتكرارًا على تغلب "أوزير"، و"رع"، والمتوفى الصالح- سواء أكان ملكًا أو فردًا عاديًا- على كل ما يعترضهم من عراقيل حتى يبرزوا من جديد في النهار؛ بينما خلال ساعات النهار يلف الظلام الحالك عالم الموتى، فتخمد

⁽⁶³⁾ L. Spence, *Ancient Egyptian Myths and Legends* (New York, 1990), 122 – 123.

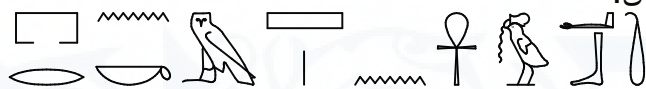
^(٦٤) واليس بدج، آلهة المصريين، ٣٠٢.

⁽⁶⁵⁾ E.A.W. Budge, *Egyptian Ideas of the Future Life* (London, 1900), 137 – 140.

^(٦٦) ثروت عكاشة، الفن المصري القديم، الجزء الأول (الإسكندرية، ١٩٧١)، ٢٧٢.

حركتهم، ويُحسب من يقطنه من ألهه وأرواح في عداد الموتى، الذين ينتظرون عودة الشمس من جديد بغية أن تمنحهم برهة وجيزة من الحياة والضيء".^(٦٧)

وفي ذلك يقول أحد النصوص - في إشارة إلى أحد البحيرات الخطرة في العالم الآخر - أن المتوفى من الممكن أن يخرج منها مطهرًا في إشارة لتخلصه من ذنوبه وآثامه؛ حيث يقول النص:



pr.n.k m š-n-^cnh w^cb.ti

"لقد خرجت أنت من بحيرة الحياة متطهرًا".^(٦٨)

الجدير بالذكر، أن بعض مناطق العذاب الجهنمي في العالم الآخر رغم ظهور جثث، ورعوس، وأعضاء، وأرواح، وظلال المتوفى المدان تحرق وتذبح وتعذب بداخلها؛ ومع ذلك فإن هذا كله لا يعد عقاباً أبدياً؛ لأنه بمجرد مرور الإله "رع" عبر منطقتهم، فإن النيران تخدم وتتطفئ.^(٦٩) مما يجعل عقابهم يُخفف ويُلطف بظهور "رع أوزير" بعد إنهاء رحلته الليلية؛ لأنه بذلك قد أفلح في إيقاف وإنهاء تعذيبهم في الوقت الحالي ولبعض الوقت بشكل مؤقت.^(٧٠) مما يجعل من العقاب بالنار عقاباً زمنياً مؤقتاً ينتهي بانتهاء رحلة إله الشمس عبر العالم السفلي؛ حيث يشير النص التالي إلى كيفية خروج المتوفى المدان مطهراً ومبدداً أثماته بعد دخوله لأحد مناطق العقاب؛ حيث يقول النص:



pri r.k w^b.k m š- n- ^{nh} hsr.t<i> dwt.k m š- kbhw

"فاتصعد أنت^(٧١) لتنتظر في بحيرة الحياة، خاسرًا/ مبددًا شرورك في بحيرة الماء
البارد".^(٧٢)

ولعل اعتبار المصريين القدماء أن الـ " $k3$ " أو القرين- بخلاف الظل " sw " ، والروح " $h3$ " الخاصة بالفرد- أحد المكونات الغريبة والتي تختلف عن باقي المكونات الإنسانية. هو ما جعل الأفكار المصرية عن العقاب المؤقت بعد الموت

(٦٧) أ. ج. سبنسر، الموتى وعالمهم في مصر القديمة، ١٧٨.

⁽⁶⁸⁾ *Pyr.* II 1979 a (Spruch 670); cf. *Pyr.* II 1006 (Spruch 482).

⁽⁶⁹⁾Budge, *The Gods of the Egyptian*, 264.

⁽⁷⁰⁾ Spence, *Ancient Egyptian Myths and legends*, 122 - 124.

(٧١) يستخدم حرف الجر $r(\ominus)$ مع الضمير المتصل 'Suffix pronoun' $k(\ominus)$ للتعبير عن

النسبية. للمزيد راجع: Gardiner, A., *EG* § 252.

⁽⁷²⁾ CT VI 391 f - g (Spell 761).

تظهر وكأنها اصطبغت بأفكار المسيحية المبكرة التي ظهرت في العصور الوسطى، والتي وردت في المصادر المسيحية المبكرة.^(٧٣) ففي "كوميديا دانتي الإلهية" ورد العذاب بالنار كعقاب وقتي في المطهر لتطهير أصحاب الذنوب المغفرة لكي يتمكنوا من دخول الفردوس.^(٧٤) فعقاب المكونات الإنسانية جميعها بالنار لا يجعل الشخص يفنى ويباد ما دام القرنين سليمًا. مما يجعل من العقاب المؤقت أحد الأساليب المتبعة في مصر القديمة؛ حيث يتمكن المتوفى المدان من الخروج مطهرًا بعد الإدانة، وفي ذلك يقول النص التالي:



*in.sn n.R^c w^cb.k R^c m š.k d_{sr} w^cb nb n_{trw} im.f iwty ^cr b3w mwtw
r.f wd.n.k d_s.k 3hty*

"فلتظهر نفسك في بحيرتك المقدسة، (التي) يتطهر سيد الآلهة فيها؛ (حيث) لا تصعد أرواح الموتى إليها. يا (من) حكمت (ب)نفسك الأفقيين".^(٧٥)

ولعل خوف المصريون القدماء من فكرة "الموت الثاني"، يعني أن الإنسان قد يتعرض للعقاب المؤقت؛ ولكنه بوجود الـ "k3" سليمة يستطيع أن يذهب بعد ذلك

⁽⁷³⁾Spence, *Ancient Egyptian Myths and legends*, 122–124.

فطبقًا للمعتقدات المسيحية أن ثعابين العالم الآخر تقوم بتحطيم المدان بأسنانها لمدة خمس أيام كل أسبوع، أما يومي السبت والأحد فتمهله. للمزيد، راجع: Budge, *BD (Ani)*, 131. أما المذنبون- طبقًا للعقيدة اليهودية- فهم يستريحون من عذابهم في جهنم ثلاث مرات، ولمدة ساعة ونصف في كل مرة، أي في أوقات الصلوات في الصباح والظهر والمساء، وكذلك في أيام السبت، وعند الاحتفال بظهور هلال أول كل شهر جديد، وعن المدة التي يقضيها المذنب في جهنم، فيعتقد بعض الحاخامات أنها ستستمر للأبد؛ بينما يرى البعض الآخر أن فترة عقاب مدتها من ستة أشهر حتى عام كامل كافية لتطهير المذنب. للمزيد، راجع: واليس بدج، آلهة المصريين، ٣١٤. مما يجعل من فكرة العقاب المؤقت بشكل عام، والعقاب بالنار المؤقت بشكل خاص من الأمور الشائعة في الديانات السماوية، وليست الوضعية فحسب.

^(٧٤) يسري صديق، مراسم تنويع الفراعنة في الدولة الحديثة والعصور المتأخرة من التاريخ المصري القديم، ٦٩٧.

⁽⁷⁵⁾ cf.



w^cb r.k šk r.k m š.k pw s3bw sw^cb.k n_{trw} im.f

لينك تتطهر يا أيها الملك، ولينك تتحد يا أيها الملك في بحيرتك هذه. ليت ثعالبها تطهرك، Pyr. 457 a - b (Spruch 301) (وتطهر) الآلهة (الذين هم) فيها. راجع:

إلى جنات "أوزير" أو "رع" في كل الأحوال، خصوصاً إنه بوجود البرديات الجنائزية يعرف مسبقاً كل ما سيحدث له بعد الموت، وأنه يستطيع أن يجتاز هذا الامتحان الصعب.^(٧٦)

الجدير بالذكر، أن البعض يرى أن العقاب المؤقت أحد الأساليب المتبعة لمعاقبة النفس التي ارتكبت بعض الهفوات، والتي لا بد لها أن تذوق العذاب وقتاً ما لتطهيرها قبل دخولها الجنة، الأمر الذي جعل البعض يعتقد بأن أحد أدوار "بحيرة النار" - الوارد ذكرها والمصورة في كتاب الموتى، والموضوعة تحت حراسة القروء الأربعة - هي تطهير النفس في هذا المطهر ومحو هفواتها.^(٧٧) كما أن إشارة بعض النصوص إلى عبور المتوفى سالماً غانماً من أحد أماكن العالم الآخر الأكثر خطورة إنما يؤكد على خروجه منها مطهراً ونقيّاً. وفي ذلك يقول النص التالي:



mn  *ir.k r hr h3t pt m sb3t nfrt hr k3bw mr- n- h3*

"(ليتك) تمر/ تعبر (يا أيها) الملك فلان N إلى أسفل جسد السماء، كالنجمة الجميلة فوق منحنيات قناة المياه السماوية".^(٧٨)

كما قد يتطهر المتوفى المدان من كافة ذنوبه، حتى وكأنه قد يُحال إلى كائنات نورانية، أو مخلوقات روحانية، أو حتى في هيئة النجوم؛ حيث يقول النص التالي:



nmī.n.k mr- n- h3 mht pt m sb3

"لقد عبرت "قناة المياه السماوية" (التي) ملأت السماء، كالنجم".^(٧٩)

كما أنني أعتقد- من وجهة نظري- أن تخلص المتوفى من أمراضه وما لحق به من وهن وضعف في أحد جنبات العام الآخر إنما هو بمثابة إشارة غير مباشرة عن خروجه مطهراً بعد فترة عقاب وعذاب تكبدتها مكوناته الإنسانية حتى خرج واهناً ضعيفاً مطهراً ونقيّاً. وفي ذلك يقول النص التالي:

^(٧٦) خزعل الماجدي، الدين المصري، ٢١٨.

^(٧٧) أنطوان زكري، المرجع السابق، ١١٣.

^(٧٨) Pyr. 2061 b – c (Spruch 684).

^(٧٩) Pyr. 802 a – b (Spruch 437).

مرور الإله "رع" بهذه المنطقة.^(٨٢) الأمر الذي يؤكد على وجود العقاب الموقت كأحد دروب العقاب في العالم الآخر طبقاً للمعتقدات المصرية القديمة.

الخلاصة:

لكي نستطيع فهم هذا، علينا أن نضع في الاعتبار أصل هذه الكائنات المعادية، فلقد كانت لا تزيد عن مجرد تجسيد لقوى الطبيعة مثل: (الليل، والظلام، والضباب، والمطر، والسحاب، والعواصف، والزوابع.... إلخ)، والتي جسدها الفنان المصري بأشكال بشرية يقوم "رع" بتدميرها بواسطة النار كتمثيل لمشاهد حرق الأرواح الملعونة؛ حيث ساد الاعتقاد بأن إله الشمس يعذب الملعونين؛ حيث يذبح ويحرق بالنار كل ليلة وكل صباح أعداء نفس الليلة ونفس النهار، أي أنه يشرق كل يوم لأنه قام بإفناء أعداء هذا اليوم بما يفيد بأن الكائنات التي تهاجم رع كل ليلة أو نهار هي ساكنات جددات في الـ "دوات". وإن كان يمكن اعتبار تكرار ظهور نفس الأشكال من الكائنات المعادية من جديد يجعلنا نعتقد بأنها دائمة ولا تتغير بما يفيد ديمومة الكائنات المعادية والتي كان عقابها موسميًا وغير دائم وخلال فترة الليل التي يعقبها الفجر مباشرة أو في الفترة التي ما بين الغروب والشروق.^(٨٣)

هذا، من وجهة نظر البعض، وإن كانت من وجهة نظر أخرى أن المصريين القدماء قد تخيلوا أن الأصل في العقاب هو إفناء الأرواح الشريرة ثم أبدل بعض كهنة الأسرات المتأخرة في بعض مدارس اللاهوت المصرية - نتيجة لعدم اقتناعهم بنظرية إفناء الأشرار- هذه الأرواح بأرواح أخرى تمثل قوى الطبيعة الباغية المذكورة في الـ "دوات" لتأخذ مكانها في العقاب. فالمصريون بالتأكيد لم يعتقدوا في إمكانية استمرار العقاب الأبدي، ولم نجد في نصوصهم ما يدعم وجهة النظر هذه وفي الحقيقة لم نجد في عقائدهم ما يماثل فكرة التطهير أو جهنم التي انتشرت بنجاح في أوروبا خلال العصور الوسطى، فهم - بغض النظر عن الملامح العامة لديانتهم- كانوا عمليين للغاية بحيث يصعب عليهم أن يرحبوا بفكرة تكرار إفناء نفس الجسد بواسطة النار؛ وإلا لوجدنا- بكل تأكيد- بعض النصوص التي تم تأليفها بهدف تجنب هذا المصير المرعب لو كانوا قد آمنوا به.

وبذلك، يخطئ من يظن أن مناظر تعذيبهم بالنار هي تصوير لتدمير الأرواح المدانة، فمضيف الشر يتجدد عذابه وبشكل مستمر مع كل انقلاب لقرص الشمس، بحيث تظهر كتيبة جديدة من الأعداء الذين يهاجمون "رع" كل مساء وكل صباح، ومن ثم يظهر العقاب والفقر في أثناء الفترة الفاصلة بين غروب الشمس وشروقها.^(٨٤)

^(٨٢) واليس بدج، آلهة المصريين، ٣٠١-٣٠٢.

^(٨٣) واليس بدج، آلهة المصريين، ٣٠٢-٣٠٣.

^(٨٤) Spence, *Ancient Egyptian Myths and legends*, 122 - 124.

أما الصورة التي تؤكد على فكرة إنزال العقاب بالحرق بالنار للمذنبين والأعداء، فيتضح منها أن فكرة حرق الرعوس، والقلوب، والأعضاء كانت فكرة شائعة؛ حيث تكررت في أكثر من موضع سابق بغرض الإفناء التام لهؤلاء المذنبين. ولكن ما المقصود من حرق هؤلاء الأعداء في البحيرات، والقنوات، والمجاري، والحفرات، والمراجل النارية؟ هل كان المقصود منها إفناؤهم وحرمانهم من الحياة الآخرة؛ أو قد تم تقطيع أجسامهم، وأعضائهم، دون أن يموتوا، وأن العقاب بالحرق يتم لكل عضو من أعضائهم بغرض تعذيبهم تعذيباً شديداً؛ حيث سبق أن صور المذنبين في بعض الصور السابقة مقطوعي الرأس ومقطوعي اليدين، ولكنهم لم يكونوا في وضع الركوع، أو حتى في وضع الوقوف، مما يشير إلى أنهم لم يموتوا؛ ولكنهم حرموا الرأس بما فيها من نظر وسمع وتنفس كنوع من التعذيب الشديد، ولو أن الأمر كان كذلك في العالم الآخر في رأي المصري القديم لكانت حياة العالم الآخر فيه إذن خالدة للجميع، فالصالحين يدخلون الجنة حيث الجنان والحياة الأبدية المنعمة؛ بينما المذنبون يحيون حياة خالدة في أماكن العذاب، سواء أكانت أماكن العذاب هذه عن طريق الذبح، أو عن طريق الحرق، وسواء أكان هذا الحرق عن طريق نفث الثعابين، أم في بحيرات، وقنوات، ومجاري، وحفرات، وآبار، ومراجل نارية، أو في تلال، أو جزر من لهب.

الجدير بالذكر، أن بعض "بحيرات النار" في العالم الآخر قد ظهرت في بعض الفترات الزمنية دون الأخرى، مثل ظهور "بحيرة مرتكب الشر" "š - irr" في نصوص الأهرام، ولمرة واحدة، وعدم تكرار ظهورها مرة أخرى في أي من الكتب الدينية الأخرى. وإن لم يمنع ذلك ظهورها في فترات متتالية من وجهة نظري، ولكن بأسماء جديدة قد تقترب إلى حد ما من المعنى الحرفي لاسم البحيرة القديم.

الجدير بالذكر، أن بحيرات النار قد ورد ذكرها في النصوص المصرية القديمة منذ نصوص الأهرام واستمرت في الظهور في أغلب الكتب الدينية حتى نهاية التاريخ المصري القديم، رغم اختلاف أشكالها ومسمياتها. وإن زاد عليها ظهور الحفرات النارية منذ عصر الدولة الحديثة في كتابي "الأمي دوات"، و"كتاب البوابات". إلا أنها تعود لتختفي عن الظهور تماماً في عصر الدولة الحديثة في كتابي "الكهوف"، و"الأرض" لتحل محلها مراجل، ومواقد، وأفران النار في الظهور لتتسجم مع طبيعة الكتابيين اللذين من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - أن تظهر بهما بحيرات أو حفرات النار.

حيث إن النعيم لا يجتمع في مكان واحد بالنسبة لكل عناصر المكونات الشخصية وفي آن واحد. فعلى سبيل المثال: تمثل أرض جزيرة اللهب مكاناً مميزاً لتحظى فيه الأرواح بالنعيم؛ بينما أرض جزيرة اللهب تمثل مكاناً جيداً لتحظى فيه أجساد الموتى الصالحين بالنعيم. على العكس من البحيرات فيمكن أن تجتمع كل

عناصر مكونات الشخصية في مكان واحد لتلقي فيه كل أنماط العذاب، وكذلك كل أنماط النعيم.

ملاحظة اتخاذ "جزيرة اللهب" للمخصص (ح) "١٣٦" الدال على ما اصطُح على تسميته باسم: "التلال"، مما يدل على وجود ترادف فيما بينهم.